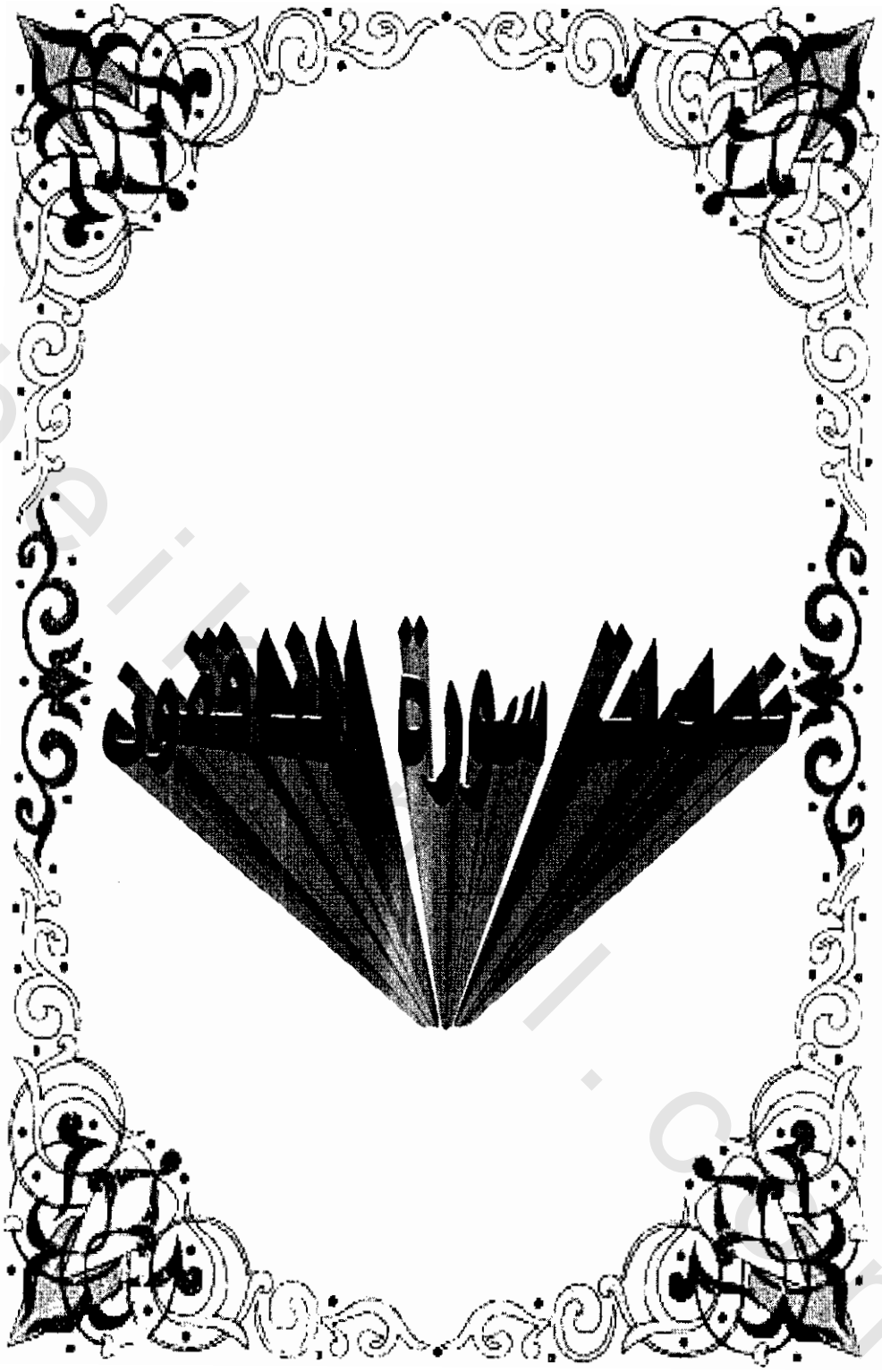

obeikandl.com

سورة المنافقون

مدنية، آياتُها عشر آيات.

ليست السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي ذكر فيها النفاق والمنافقون، فلا تكاد تخلو سورة مدنية من ذكر المنافقين تلميحًا أو تصريحًا.

محور السورة يدور حول الحديث عن المنافقين، والإشارة إلى وصفهم ومكائدهم، وبعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم.

وعلة ظهور المنافقين في المدينة واضحة، فالنبي ﷺ لما قدم المدينة، وكثر الإسلام فيها وعز، صار أناس من أهل الأوس والخزرج يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، ليبقى جاههم، وتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون، لكي يحذر العباد، ويكونون على بصيرة منهم.

والنفاق من أخس الصفات، وهو ازدواج في الشعور والسلوك، يبدأ بأن يكون المرء ذا وجهين ولا يزال ينمو حتى يكون صاحبه كالحرباء التي تصطبغ بألوان شتى حسب الوسط التي تكون فيه.

والكذب والحلف عليه من أول أخلاق المنافقين، وهم يقتربون أو يبتعدون حسب هبوب الريح التي تحملهم هنا أو هناك، فليس لهم محور ثابت يدورون حوله، أو وجهة محدودة يرتبطون بها إنما هي منافعهم الخاصة التي يرنون إليها ولا يتحولون عنها.

وختمت السورة الكريمة بتحذير المؤمنين من أن ينشغلوا بزينة الحياة الدنيا عن طاعة الله وعبادته شأن المنافقين، وبينت أن ذلك طريق الخسران، وأمرت بالإنفاق في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، قبل فوات الأوان.

* * *

obeikandl.com

النداء الأول والأخير في هذه السورة
تقديم محبة الله على محبة الأموال والأولاد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٩-١١].

صلة السورة بما قبلها :

هناك ترابط وثيق بين السورتين، تحدثت سورة الجمعة عن اليهود وانحرافهم عن شريعة الله، وفي (**المنافقون**) تناولت أخلاق المنافقين، وصفتهم الذميمة التي من أظهرها الكذب، والفريقان خطرهم أعظم، وضررهم أكبر من غيرهم على الإسلام، ولذلك حذر المؤمنين في نهاية السورتين من الانشغال بزينة الدنيا ولهوها ومتاعها عن طاعة الله، وألا يغفلوا عن ذكر الله، فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح، وكان الرسول يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة فيحرض المؤمنين بذلك، وفي الركعة الثانية سورة المنافقين فيفزع المنافقين.

المعاني والتراكيب :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ يأمر -تعالى- عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره، فإن في ذلك الفلاح والخير الكثير، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله فيه خسارة عظيمة ولهذا قال:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ أي: يلهه ماله وولده عن ذكر الله.

﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أي: يخسرون السعادة الأبدية؛ لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى.

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ أنفقوا من بعض ما أعطيناكم وتفضلنا به عليكم، ويدخل في هذا النفقات الواجبة من الزكاة والكفارات

والنفقة على الزوجة ونحو ذلك، والنفقات المستحبة كبذل المال في جميع المصالح.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ متحسرًا على ما فرط وقت الإمكان، سائلاً الرجعة وقت الاحتضار.

﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: لأتدارك ما فرطت فيه.

﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي: أتصدق وأحسن عملي وأصبح تقيًا صالحًا.

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ أي: ولن يمهل الله أحدًا إذا انتهى أجله ولن يزيد في عمره، فالله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما ما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «**من احب أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» [1]. الزيادة في العمر أن يرزق العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره، أو أن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة والصيانة عن المعصية، أو أن زيادة العمر زيادة حقيقة كأن يقال للملك الموكل بالعمر إن عمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه وستون إن قطعها وقد سبق في علم الله أنه يقطع أو يصل فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، فلا تعارض بين الحديث والآية.

﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ مطلع على النيات والأعمال من خير وشر فيجازيكم على ذلك.

لطائف القرآن الكريم :

الأولى: روى الترمذي عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكافرون. فقال: سأتلو عليك قرآنًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ... ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، حديث (٥٩٨٦)، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم قطعتها، حديث (٢٥٥٧)، وأبو داود، حديث (١٦٩٣).

مائتين فصاعدًا. قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير[1].

الثانية: قال - سبحانه -: ﴿مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ ليدل ذلك على أنه - تعالى- لم يكلف العباد من النفقة ما يعنتهم ويشق عليهم، بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم، ويسره ويسر أسبابه، فليشكروا الذي أعطاهم بمواساة إخوانِهم المحتاجين، وليبادروا بذلك قبل فوات الأوان.

ما ترشد إليه الآيات :

١- تشير الآيات إلى المبادرة بأعمال الصالحات والطاعات.

٢- محبة الأموال والأولاد مجبولة عليه أكثر الناس، فاجعلها في طاعة الله، حتى لا تكون من الخاسرين، قالوا: حين يخلفك ولد صالح تولد عند موتك، وحين يخلفك ولد سيء تموت ميتتين «**ولد صالح يدعو لك**»، وقال قائل: جهاد الآباء في ميدان التربية، أشق من جهاد الأبطال في ميدان الحرب.

٣- المنافق شخص هانت عليه نفسه بمقدار ما عظمت عنده منفعته، يخطئ من يتصور الحياة غير اختبار.

٤- من أكبر أسباب الفلاح ذكر الله.

* * *

(١) مختصر ابن كثير